Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكأنما قُضِي علينا أن نستعير عقليتهم وأذواقهم ، لنفهم تراثنا ونتذوقه .

ومنذ اثنى عشر قرنًا ، رفض « ابن قتيبة : ٢٧٦ هـ » استعارة ذوق السابقين فقال : « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيلَ من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بين الاحتقار لتأخره . . ولم يقصر الله العلمَ والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصَّ به قومًا دون قوم ؛ بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثًا فى عصره »[١] .

وفى القرن السادس الهجرى ضج « ابن بسام » فى أقصى المغرب من التقليد والجمود ، واستعارة ذوق بيئة أخرى غير بيئته فقال :

« إلا أن أهل هذا الأفق ، أبوا إلا مبايعة أهل المشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى "قتادة" حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، أو طنَّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لحثّوا على هذا صنماً ، وتلوا ذلك كتاباً محكماً ! وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان ، وخصَّ أهلَ المشرق بالإحسان . .؟ والإحسان غير محصور ، وليس الفضل على زمن بمقصور . وعزيز على الفضل أن يُتكسَّر ، تقدم به الزمان أو تأخر . ولحى الله قولهم : "الفضل للمتقدم" فكم دفن من إحسان وأخمل من فلان ، ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين لضاع علم كثير ، وذهب أدب غزير »[٢] .

وابن قتيبة وابن بسام ، قد كانا قريبي عهدٍ بالقوم نسبيًّا ، أفلسنا أولى منهما بمثل هذا التحرر الفكرى والذوق ؟

وهل ترى يليق بنا أن يجمد ذوقنا عند الموروث من قيم نقدية ، لرجالٍ فصلتنا عنهم قرون ذات عدد ، جدَّ فيها على ثقافتنا وأذواقنا ما جد ؟

وقدامى النقاد ، عاشوا فى عصور ليست أزهى عصور العربية ، وفى مجتمعات متصدعة مريضة غالبًا ، وقد نجونا نحن من أكثر الأوضاع المريضة ، لكن لا تزال

---

(١) الشعر والشعراء ١ / ٦ ط الحلبى

(٢) الذخيرة : ١ / ٢ ، ٣ ط جامعة القاهرة .